فَـثِـبْ وَاثِـقـاً بـالـلَّـهِ وَثْـبَـةَ مَـاجِـدٍ
يَرَى المَوْتَ في الهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ في الْفَمِ(١)

## شربت غير أثيم

**حلف صديق له بالطلاق أن يشرب، فقال:**

[الكامل]

وَأَخٍ لَـنَـا بَـعَـثَ الـطَّـلَاقَ أَلِـيَّـةً
لَأُعَـلِّـلَـنَّ بِـهٰـذِهِ ٱلْـخُـرْطُـومِ(٢)
فَـجَـعَـلْـتُ رَدِّي عِـرْسَـهُ كَـفّـارَةً
عَـنْ شُـرْبِـهَـا وَشَـرِبْـتُ غَـيْـرَ أَثِـيـمِ(٣)

## شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة

**وقال في صباه:**

[البسيط]

ضَـيْـفٌ أَلَـمَّ بِـرَأْسِـي غَـيْـرَ مُـحْـتَـشِـمِ
وَالـسَّـيْـفُ أَحْـسَـنُ فِـعْـلاً مِـنْـهُ بِـالـلِّـمَـمِ(٤)

---

(١) الهيجا: الحرب. جنى النحل: العسل. يستنهض الشاعر نفسه، وفي نفسه ثقة بأن النصر من لدن اللّه تعالى، وطعم النصر كطعم الشهد لذيذ، ذو أثر في النفس.

(٢) الألية: القسم. التعليل: التلهي بأي شيء. الخرطوم: الخمرة السريعة الإسكار. الإعلال: الشرب مرة بعد مرة. يذكر الشاعر أن صديقه أقسم عليه أن يشرب الخمرة بتمهّل تباعاً، وإلّا فإنه سوف يُطلّق زوجته.

(٣) العِرْس: الزوجة. الكفارة: ما يقدّمه المرء من عمل صالح يُغطّي ما وقع فيه من محرّمات. الآثم: المقترف الذنب. إكراماً لصديقه جرع الشاعر الخمرة، ولم يحمله على حليلته، وبذلك استجاب لصديقه في نفس الوقت وحمى بيت الزوجية.

(٤) يقصد الشاعر بالضيف الشيب. ألمّ: حلّ. المحتشم: الخجول. اللمم، الواحدة لِمّة: الشعر الذي جاوز شحمة الأذن وأدرك المنكبين. بدأ الشاعر قصيدته بمطلع وجداني تلفّه مسحة حزينة، لقد فاجأ الشيب الشاعر فنزل برأسه ضيفاً غير مرغوب فيه؛ إنه مقدّمة مرعبة تؤذن بالرحيل عن هذا الوجود، والشاعر لم يُحقّق أمانيه حتى الآن، وهو يتمنّى لو أن السيف أزال تلك البشاعة عنه.

إبـعَـدْ بَـعِـدْتَ بَـيَـاضـاً لا بَـيَـاضَ لـهُ
لَأَنْـتَ أسْـوَدُ فـي عَـيْـنِـي مِـنَ الـظُّـلَـمِ (١)
بِـحُـبِّ قَـاتِـلَـتِـي وَالـشَّـيْـبِ نَـغْـذِيَـتِـي
هَـوَايَ طِـفْـلاً وَشَـيْـبِـي بَـالِـغَ الْـحُـلُـمِ (٢)
فَـمَـا أَمُـرُّ بِـرَسْـمٍ لا أُسَـائِـلُـهُ،
وَلَا بِـذَاتِ خِـمَـارٍ لا تُـرِيـقُ دَمِـي (٣)
تَـنَـفَّـسَـتْ عَـنْ وَفَـاءٍ غَـيْـرِ مُـنْـصَـدِعٍ
يَـوْمَ الـرَّحِـيـلِ وَشَـعْـبٍ غَـيْـرِ مُـلْـتَـئِـمِ (٤)
قَـبَّـلْـتُـهَـا وَدُمُـوعِـي مَـزْجُ أَدْمُـعِـهَـا
وَقَـبَّـلَـتْـنِـي عَـلَـى خَـوْفٍ فَـمـاً لِـفَـمِ (٥)

---

(١) ورد البيت في: خزانة الأدب، للبغدادي ٣: ٣٧٤، مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٤٣. ولشدّة كراهة الشاعر لما حلّ به من الشيب ثارت ثائرته فإذا به يصرخ، والمرارة تملأ قلبه غيظاً وحنقاً: ابعد فبياض الشيب أشدّ سواداً وألماً في النفس من ظلمة الليل البهيم.

(٢) ورد البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٧٠/ ٢: ٢٨١. رحلة العمر سريعة لدى الشاعر، ملأ الحبّ قلبه في طفولته الأولى وغزا الشيب رأسه، وقد أطلّ برأسه على شباب غضّ شوّهه ضيف ثقيل نزل بساحته، لا بدّ من معايشته، وهو غذاء يحمل معه طعم الموت.

(٣) الرسم: معالم الديارات التي امّحت. وذات الخمار كناية عن المرأة، يشرع الشاعر بإنشاد شيء من الغزل، فرحلته تتسارع به الخُطى، فهو يسأل الأطلال عن حبيبته، فتعي جواباً، وتعجز عن ردّ، فإذا به يسأل نسوة عسى أن تُجيبه إحداهن إجابة شافية، ولكن دون جدوى، وإن كان من جواب فهو جواب طعمه طعم الموت.

(٤) تنفّست: آذنت. منصدع: منشق. شعب: متفرّق. غير ملتئم: منصدع. عادت بالشاعر الذكرى إلى يوم رحيل حبيبته، ففي نظراتها لوعة الفراق والحزن منبثان عن حبّ انغرز في الأحشاء، وهي على يقين أن ذلك الفراق أبديّ، فلن يكون بعده لقاء.

(٥) ورد البيت في: خزانة الأدب، للبغدادي ١: ٥٢٦٦. كان اللّقاء حزيناً، دموع بلّلت الخدود، وقبلات انطبعت عليها، حتى التقت الشفاه بالشفاه.

قَـدْ ذُقْـتُ مَـاءَ حَـيـاةٍ مِـنْ مُـقَـبَّـلِـهـا
لَـوْ صَـابَ تُـرْبـاً لَأَحْـيَـا سَـالِـفَ الْأُمَـمِ (١)
تَـرْنُـو إِلَـيَّ بَـعَـيْـنِ الـظَّـبْـيِ مُـجْـهِـشَـةً
وَتَـمْـسَـحُ الـطَّـلَّ فَـوْقَ الـوَرْدِ بِـالْـعَـنَـمِ (٢)
رُوَيْـدَ حُـكْـمَـكِ فـيـنَـا غَـيْـرَ مُـنْـصِـفَـةٍ
بـالـنَّـاسِ كُـلِّـهـم أُفـدِيـكِ مِـنْ حَـكَـمِ (٣)
أَبْـدَيْـتِ مِـثْـلَ الَّـذِي أَبْـدَيْـتُ مِـنْ جَـزَعٍ
وَلَـمْ تُـجِـنِّـي الّـذي أَجْـنَـيْـتُ مِـنْ أَلَـمِ (٤)
إِذاً لَـبَـزَّكِ ثَـوْبَ ٱلْـحُـسْـنِ أَصْـغَـرُهُ
وَصِـرْتِ مِـثْـلِـيَ فـي ثَـوْبَـيْـنِ مِـنْ سَـقَـمِ (٥)

---

(١) مقبّلها: فاهها. صاب: انهمر، سال. ويروى «فذقت» بدلاً من «قد ذقت». لقد رشف الشاعر من ثغر حبيبته ماء الحياة، فانتعشت روحه حتى لو أن قطرة أصابت ثرى الأرض العطشى لدبّت بها حياة، فإذا بالأموات يُحشرون على وجه الأرض رغم عهدهم بالموت، وقد دبّت بهم الحياة وانتعشت.

(٢) ترنو: تنظر حانية. مجهشة: أي أنها تُوشك على البكاء. الطلّ: يقصد به البكاء. العنم: شجر ليّن الأغصان تُشبّه به بنان الجواري. يصف الشاعر جمال عيني حبيبته، إنهما عينا ظبي، تتمثّل فيهما الرقة والجمال والدعة والحبّ، لذا فهي دامعة، وقد بلّلت وجنتيها دموع، فاختلط الندى بالورد الأحمر الممتلئ حيوية وجمالاً.

(٣) رويد: تمهّل. المنصف: العادل. حاولت الحبيبة التملّص من الشاعر، فإذا به يطلب منها أن تتمهّل قليلاً لينعم بلقائها، ولكنها مجبرة على الرحيل، وفي ذلك ظلم له، وهو مستعدّ للتضحية بسائر البشر لقاء حكم عادل منها ببقائها لينعم بحبّها.

(٤) الجزع: الخوف. تُجني: تُخفي. تبادل المشاعر بينهما، فالخوف حلّ مكان الاطمئنان في قلبيهما، ولكنه أكثر تأثّراً منها، فالألم يفيض في قلبه، ولكنه يُغالبه كي لا يُظهر ضعفاً يُعاب عليه.

(٥) بزّ: سلب. السقم: المرض. يُتابع الشاعر مسوّغاً عدم شدّة تأثّر حبيبته بأنها لو فعلت لسُلبت جمالها، وفي هذه الحالة تشارك الشاعر آلامه، فإذا بها ترتدي ثوبين: ثوب البشاعة وثوب المرض.

لَـيْـسَ الـتَّـعَـلُّـلُ بـالآمَـالِ مِـنْ أَرَبـي
وَلَا الْـقَـنَـاعَـةُ بـالإِقْـلَالِ مِـنْ شِـيَـمـي (١)
وَلَا أَظُـنُّ بَـنَـاتِ الـدَّهْـرِ تَـتْـرُكُـنِـي
حـتـى تَـسُـدَّ عَـلَـيْـهَـا طُـرْقَـهَـا هِـمَـمـي (٢)
لُـمِ الـلَّـيَـالِـي الَّـتـي أَخْـنَـتْ عَـلَـى جِـدَتِـي
بِـرِقَّـةِ الْـحَـالِ وَٱعْـذُرْنِـي وَلَا تَـلُـمِ (٣)
أَرَى أُنَـاسـاً وَمَـحْـصُـولِـي عَـلَـى غَـنَـمٍ
وَذِكْـرَ جُـودٍ وَمَـحْـصُـولِـيً عَـلَـى الْـكَـلِـمِ (٤)
وَرَبَّ مَـالٍ فَـقِـيـراً مِـنْ مُـرُوءَتِـهِ
لَـمْ يُـثْـرِ مِـنْـهَـا كَـمَـا أَثْـرَى مِـنَ الْـعَـدَمِ (٥)

(١) التعلّل: اللهو بشيء ما دون شيء آخر أكثر أهمية. الأرب: المراد. شيمي: أخلاقي. ليس من طبيعة الشاعر اللهو بسفاسف الأمور أو إضاعة العمر في ما لا فائدة فيه ولا القناعة بالقليل من سبل القوّة في الحياة. بل إنه يسعى لتحصيل كلّ أسباب السيادة كجمع المال والسؤدد.

(٢) بنات الدهر: مصائبه وويلاته. الهمم، الواحدة هِمَّة: إرادة. الأخذ بالحذر والأسباب المؤدية إليه أهم ضروب النجاح في الحياة؛ فالشاعر لن يتوانى حتى تُفاجئه المصائب بدهائها ومكرها، بل إنه يُسارع لمقارعتها فيسبقها بحيث يمنعها من إضعافه، وبالتالي يسدّ عليها كلّ الذرائع فيتقوّى بالغنى والأنصار.

(٣) أخنت عليه الليالي: أتت عليه وأهلكته. الجِدة: كلّ ما هو جديد، كالمال والعمر وسواهما. رِقّة الحال: الفقر. يُخاطب الشاعر لائمه على ما هو عليه من سوء حالٍ طالباً منه أن يلوم الدهر الذي أبلى جِدته فحرمه من شبابه وما حصّله من مال فأفقره وسلبه أعزّ ما لديه؛ إنه جدير بالاعتذار.

(٤) الجود: الكرم. تبدو نِقمة الشاعر على أهل زمانه؛ إنهم غنم يسيرهم الأقوياء فلا إرادة لهم، ولا قوّة: والأغنياء يوهمونهم بجودهم فإذا به وعود كاذبة، والرجولة الحقّة تكمن بإنفاذ الوعود لا بالكلام.

(٥) أثرى: اغتنى. العدم: الفقر. ونظرة الشاعر إلى من اغتنى بعد فقر نظرة سوداوية، فقد ازداد هذا مالاً، وافتقر مروءة.

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ
وَيَنْجَلي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ (١)
لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَاتَ مُصْطَبَرٍ
فَالآنَ أُقْحَمُ حَتَّى لَاتَ مُقْتَحَمِ (٢)
لأَتْرُكَنَّ وُجوهَ ٱلْخَيْلِ سَاهِمَةً
وَٱلْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمِ (٣)
والطَّعْنُ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا
حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ (٤)
قَدْ كَلَّمَتْهَا الْعَوَالِي فَهْيَ كَالِحَةٌ
كَأَنَّمَا الصّابُ مَذْرُورٌ عَلَى اللُّجُمِ (٥)
بِكُلِّ مُنْصَلِتٍ مَا زَالَ مُنْتَظِري
حتى أَدَلْتُ لَهُ من دَوْلَةِ ٱلْخَدَمِ (٦)

(١) النصل: السيف، مضرب السيف: حدّه القاطع. الصمّة: الشجاع. الشاعر ماضٍ، ذو عزيمة وإرادة عظيمتين، إنه بمثابة سيف قاطع في ميادين القتال، وستكشّف الأحداث عن بطل لا يهاب شيئاً، عن بطل همام ليس كمثله شيء.

(٢) يُطلعنا الشاعر على خطة المجابهة حيث لا يتردّد حتى يُحقّق ما يسمو إليه، وقوام ذلك صبر في الملمات واقتحام للأهوال عندئذٍ تتحقّق الآمال العظام.

(٣) يُتابع الشاعر رسم خطته؛ وقوامها خيل ساهمة لا تعي على شيء لشدّة المعركة، وتلاحم الأبطال في المعمعة لا تبقي ولا تذر.

(٤) الزجر: الصياح. اللمم: الجنون. يروى «يخرقها» بدلاً من «يحرقها». يتابع الشاعر ما عليه الخيول من جنون الحركة، فهي تُقابل ضربات الأعداء بصدورها، وتهزّها أصوات فرسانها طلباً للظفر والانتصار، فإذا بها تبدو في حالة جنون مطبق لتستوعب ما يحصل في قتام المعركة.

(٥) كلّمتها: جرحتها. العوالي: الرماح. كالحة: عابسة، مكشّرة. الصاب: ضرب من النبات. مذرور: مرشوش. يروى «معصوب» و«معصور» بدلاً من «مذرور». يُردف الشاعر واصفاً جنون الخيول؛ لقد أصابتها الجراح؛ فالرماح تصيب منها مقاتلها، لذا فهي عابسة مكشّرة سخطاً وغضباً كأن عُصارة أثارتها، وقد صُبّت على اللجم.

(٦) المنصلت: الرجل الماضي في حوائجه. أدلت له: أعانته لتكون له الغلبة على عدوّه. =

شَـيْـخٌ يـرَى الـصّـلَـوَاتِ ٱلْـخَـمْـسَ نَـافِـلَـةً
وَيَـسْـتَـحِـلُّ دَمَ ٱلْـحُـجّـاجِ فـي الـحـرَمِ[١]
وَكُـلّـمَـا نُـطِـحَـتْ تَـحْـت الْـعَـجَـاجِ بـهِ
أُسْـدُ الْـكَـتَـائِـبِ رَامَـتْـهُ وَلَـم يـرِمِ[٢]
تُـنْـسِـي الْـبِـلَادَ بُـرُوقَ ٱلْـجَـوِّ بَـارِقَـتِـي
وَتَـكْـتَـفـي بـالـدّم الْـجَـارِي عَـنِ الـدِّيَـمِ[٣]
رِدِي حِـيَـاضَ الـرَّدَى يَـا نَـفْـسُ وَأَتّـرِكـي
حِـيَـاضَ خَـوْفِ الـرَّدَى لِـلـشّـاءِ وَالـنَّـعَـمِ[٤]
إنْ لَـمْ أذَرْكِ عَـلَـى الأَرْمَـاحِ سَـائِـلَـةً
فَـلَا دُعِـيـتُ ٱبْـنَ أُمِّ الْـمَـجْـدِ وَالْـكَـرَمِ[٥]

---

= وخروج الشاعر على دولة الخدم ليُديل حكمهم، فثمّة من ينتظر نصرته لتكون له الغلبة على عدوّه ويقضي على دولة الظلمة.

(١) النافلة: الصلوات السنن غير الفرائض الخمس. ومن تأثير الفكر القرمطي أن الأتباع يرون الصلوات الخمس شيئاً عرضياً، وليس غاية تعبّدية بحدّ ذاتها، وغايتهم البعيدة تحويل الخلافة والسلطان إلى العنصر الذي ينتمون إليه، ولقد أحلّوا دماء المسلمين في موسم الحجّ في الحرم المكيّ.

(٢) العجاج: الغبار. الكتائب، الواحدة كتيبة: الفرقة من الجند. رامته: أي زالت عن مراكزها. ولم يرم: أي لم يزل صامداً ولم يتزحزح عن مكانه. يمدح الشاعر نفسه بأنه لا ينهزم أبداً، يبقى ثابت الجنان، بينما أعداؤه ينهزمون فيتقهقرون متنازلين عن مراكزهم.

(٣) يقصد الشاعر ببارقتي سيوفه. الديم، الواحدة ديمة: الأمطار الدائمة الهطلان. ومن مغالاة الشاعر أن سيوفه تبرق مؤذنة بأنهار من الدماء، ممَّا يثير الرعب في قلوب أعدائه فينسون الأمطار وما تحمله من خير، ولكنهم لن ينسَوا الدماء التي يُريقها منهم.

(٤) الردى: الموت. يُخاطب الشاعر نفسه مثيراً فيها الحماسة لتشرب كأساً لا بدّ لها من وروده بلا تردّد؛ فالقتل للأبطال وليس للبهائم.

(٥) يذر: يترك. يُتابع الشاعر مخاطبته نفسه؛ فهو يتمنّى أن يُقتل تحت أسنة الرماح، وإلّا فإنه لا يراها جديرة بأن تتبوّأ أسمى درجات المجد.

أَيَمْلِكُ الْمُلْكَ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ
وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلى وَضَمِ (١)
مَنْ لَوْ رآنِيَ مَاءً مَاتَ مِنْ ظَمَإٍ
وَلَوْ عَرَضْتُ لَهُ فِي النَّوْمِ لَمْ يَنَمِ (٢)
مِيعَادُ كُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَداً
وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ (٣)
فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهَا لَهُمُ
وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمِ (٤)

## لو برز الزمان إلي

**عذله أبو عبد اللّه معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهده من تهوره، فقال:**

[الوافر]

أَبَا عَبْدِ الْإِلٰهِ مُعَاذُ إِنِّي
خَفِيٌّ عَنْكَ فِي الْهَيْجَا مَقَامِي (٥)

---

(١) ظامئة: عطشى. الوضم: الخشبة التي يُقطّع الجزار عليها اللحم. ومن مغالاة الشاعر أنه لا يرى من يستحقّ الملك، فسيوفه ظامئة إلى دماء هؤلاء، وهم لا يقوون على دفع بلائه عنهم وكأنهم ذبائح وُضعت على خشبة الجزار لتقطيعها.

(٢) يُردف الشاعر أن هؤلاء الملوك لو كانوا عطاشاً وظنّوا أنه ماء، فلن يستسيغوا شربه فسوف يموتون من شدّة ظمئهم في حال تصوّرهم له حتى في النوم، فإنهم لن يعرفوا طعم النوم.

(٣) يقصد برقيق الشفرتين السيف. يُهدّد الشاعر ملوك العرب والعجم بالقتل، فالغد قريب لمن عصى إرادته.

(٤) وتتصاعد وتيرة تهديده؛ فالمطيع لإرادته يحمي نفسه، والرافض لن يلقى إلّا سيفاً لا يعرف للرحمة معنًى.

(٥) الهيجاء: الحرب. يُخاطب الشاعر أبا عبد الإله مدافعاً عن نفسه وناسباً إليه الجهل به، يفخر المتنبي بقوّته؛ إنه بطل شجاع جريء يخوض الحروب ويهلك الأقران، ولومه له لن يزيده إلّا إصراراً على المضي بما وطّن نفسه عليه، فلومه لن يجد صدى في الفتّ من عزيمته.